تكنولوجيّة التّعليم والعمليّة التّعليميّة

أ.د صالح بلعيد
الجزائر

ـ كلمات لا بدّ منها:تغمرُني السّعادة وأنا في جامعة (جيلالي اليابس) بسيدي- بلعباس للمُشاركة في الملتقى الدّولي حول (تكنولوجيّة التّعليم والعمليّة التّعليميّة) بدعوةٍ كريمةٍ من رئيس مخبر (تجديد البحث في تعليميّة اللّغة العربية في المنظومة التّربوية الجزائريّة) وتَبَادَرت إلى ذهني تِلْكُم الميادينُ الثّلاثةُ التي خَصَّصَتْها (المديريةُ العامّة للبحث العلمي والتّطوير التّكنولوجي) للأعوام 2015-2018 فوجدتُ هذا الموضوعَ يندرج في أهمِّ ميدانٍ وهو(التّربية والتّعليم) على اعتبار أنّه من الميادين التي تُشكّل رِهان التّحدّيات المعاصرة؛بهدف الرّفع من مَردودية التّربية والتّعليم. وليس على أنّه الرّهان فقط، بل هو التّحدّي الذي يجب أن تكسبَه الجزائرُ للدخول في مُجتمع المعرفة،ولا يقلُّ شَأْناً عن الميدانيْن الآخريْن هما:

1. ميدان الطّاقات المتجدّدة والبيئة.
2. ميدان البُحوث في علوم الطِّب.

ولهذا أحسنَ الإخوةُ في المخبر اختيار البحث في هذا الموضوع؛ حيث الشّعوبُ الفقيرةُ والضّعيفةُ مِثْلَنا نهضتْ بعدما رَسَمَتْ خُططاً للنّهوض بميدان التّربية والتّعليم، وأنفقتْعليه بسخاء، فخرجتْ من التّخلّف وأصبحتْ الآن تعيشُ مجتمعَ المعرفةِ، وليس ذلك ببعيد ما نسمعُ ونقرأُ عن تلك القَفَزَات النّوعية التي سَجّلَتْها: فنلندا والسُّويد والمجَر وكُوريا الجنوبية وسنْغافورة وماليزيا واليابان... ونرى جامعاتِها تتصدّر الرُّتَب الأولى عالمياً، كما أنّ منتوجَها التّقني يغزُو أسواقَنا، ولغاتها في سوق التّداول بالقوّة والفِعْل، وتُنشد في ذاتها.

ـ **المُقدّمة**:لا أخفي عليكم بأنّه لما طُلِبَ منّي تقديمُ مُداخلةٍ افتتاحيةٍ في هذا الموضوع، رأيتُ أن تكونَ حول مُحدّدات العنوان ومُتعلّقاته، وتكون عامّة، ورأيتُ كذلك ضرورةَ ربطِ العمليات التّعليمية التّكنولوجية بالحديث عن ضرورة استعمال تلك الآلات، وتوظيف التّقانات، والتفنّن في الإضافات في كلّ مراحل التّعليم: تربية . تعليم عالي . تكوين مهني؛ لأنّه لا يكفي أن نملكَ تجهيزاتٍوهي تقريباً للعَرْضِ دون أن يكونَ لها أثرٌ في الاستعمال الجيّد وفي الإضافة؛ لأنّ عصرنا قدّم لنا هذه المنتوجات، وهي صنيع الفعل الحضاري، ومُصمّمة للاستعمال والتّطوير، ومن الضّروري أن نتّخذها آليات نوعية لتسهيل علميات التّدريس.

إنّ التّعليم المعاصر هو تعليم بالآلات بمُساعدة وسائلِ العرض، وطرائق التّعليم المبرمج، وهو لا يتطلّب حضور المدرّس، ويُسمّى عن الفرنسيين Enseignement automatisé، كما يُستعمل في هذا المجال ذالكم التّعليم المسمّى بالتّعليم المسيّر بالحاسوب/ Enseignement géré par ordinateur ويُعرّفه معجم علوم التّربية "استعمال حاسوب لمعالجة النّتائج والبطاقات والبرامج والامتحانات لا لتعليم التّلاميذ ويمكن أن يشمل هذا النّوع من التّعليم برمجة وسائل، وكذا طرائق التّعليم التي تستعين بالمعالجة الآلية للمعطيات

[1]" وهذا ما ننشده في أعمالنا التدريسية؛ بحيث يمكن للأستاذ استغلال بياناته، ونتائج الدراسات، وتحليل المحتوى وبرمجتها حاسوبياً، وهذا ما نسعى أن يكون فيه التّكوين بالنّسبة لطلابنا، فلا ننظر إلى امتلاك الكمّ الكبير من الأجهزة؛ بقدر ما ننظر إليها من خلال كيفية استغلالها والعمل على تطويرها،ونشهد الآن على مُستوى الجامعات ذلك الرّكام الآلي، وفي المكاتب، وفي المخابر، وفي المخازن، وبعض الآلات أصبحتْ خُردةً؛ ولم تُستخرج من رُزمِها حتى انتهى زمنُ استعمالها.

والآن لم تُصبحُ تلك الآلات من الخيال أو صعبة الامتلاك والتّشغيل، فهي في كلّ يوم تعمل على التّحسين في استعمالها والتّيسير في وظائفها، وتبتعد في كلّ يوم عن تلك الصّعوبات التي ظهرت فيها أوّل مرّة. كما أنّها الآن أصبحت وسائلَ في مُتناول الجميع؛ بما تعرفه أسعارُها من تنافس، وأضحتْ تزدادُ وتتنوّعُ في السّوق، وتلاحقك بكلّ ما تحمله في ذاكرتها، وهي أكثر من ضرورة بما تقدّمه من مَهَارات وما تسهّله لنا من خدمات. هي أجْهزةٌ مُعوْلَمةٌ تابعةٌ لحضارة الحاضر، فليست مِلكاً للغة، وإن كانت الإنكليزيةُ قد وُصفت بها، وحملتِ الكثيرَ من مُصطلحاتها، ونحن في عصر من يملك المعلومةَ وآلة المعلومة؛فهو يملك السّلطةَ، ويفرض اللّغةَ، وما يصحب تلك اللغة من منتوجها الآلي، علماً أنّ المجتمع الذي لا يصنع هذه الآلات، فإنّه لن يستطيعَ توظيفَها توظيفاً كاملا لغياب مجتمع المعرفة.

بالفعل، هناك إغراق المؤسّسات الجامعية بهذه التّجهيزات، وفتح الشّابكة، وما ينتج من بيانات Wifi وبنوك المعطيات... ومن خلال ذلك طرحتُ مجموعةً من الأسئلة الأوّلية:

- هل بالفعل نتحكّم في هذه الآلات التي لا نُنتِجُها، ولا نُشاركُ في وضع بَرْمَجِياتها؟
- وهل نتعاملُ بها على أساس أنّها آلاتٌ مساعدةٌفي تأدية مَهامنا التّربوية، أم نتعامل بها على أساس بديل للآلة البرازيلية القديمة؟
- هل نعتبرها من الوسائل التّرفيهية ويُستفاد منها في حالة النّشوة؟
- وهل نعمل على إضافات تحسينية في برامجها؟
- وهل نتقنّ فنّ الأمن المعلوماتي فيها؟

1. **عرض الموضوع**: هناك بعض المحدّدات ذات العلاقة بالموضوع يجب الوقوف عندها، ونحن نتحدّث عن مُصطلح (تكنولوجيا) التي تعني عموماً التّقنية والفنّ والمهارة والسُّرعة وتقريب المادة بطريقة سهلة، ويدخل فيها كلّ ما له علاقة باستعمال الوسائل التّقنية. وأما (تكنولوجيا التّعليم) فهي فرعٌ من تكنولوجيات التّربية، ويتصّل بذلك تكنولوجيا المعلومات، والتّعليم المبرمج، والتّعلّم الإلكتروني، والتّعلّم بالحاسوب. وقد تطوّرتْ هذه التّكنولوجيا تطوُّراً مُذهلاً، ونشهد فيها استعمال التّقانات الجديدة التي لا تنتهي. ولذايجب الوقوف عند هذه المصطلحات كي لا يقع اللّبس بينها، رغم ما يقع بينها من تبادل المواقع، والذي يهمُّنا في هذا المقام هو الوقوف عند تعريف (تكنولوجيات التّربية) وتعني "... طريقة منهجية في التّفكير والممارسة، وتعدّ العملية التّربوية نظاماً متكاملاً تُحاول من خلاله تحديد المشكلات التي تتّصل بجميع نواحي التّعليم الإنساني وتحليلها، ثمّ إيجاد الحلول المناسبة لها لتحقيق أهداف تربوية مُحدّدة، والعمل على التّخطيط لهذه الحلول وتنفيذها وتقويم نتائجها وإدارة جميع العمليات المتّصلة بذلك. تكنولوجيا التّربية هي إدارة مصادر التّعلّم وتطويرها

على وفق منحني النّظم وعمليات الاتّصال في نقل المعرفة. أما (تكنولوجيا التّعليم) فهي نظام فرعي من تكنولوجيا التّربية وبُعد من أبعادها، ووفقاً لسيلزوريتشي (1994) فإنّ أغلب المنتمين للمجال حالياً يستخدمون المصطلحيْن استخداماً تبادلياً[2]". إذاً موضوعنا لهذا الملتقى يتعلّق بتكنولوجيا التّعليم الذي هو فرع من تكنولوجيا التّربية، ويعني بدوره بالبحث في مشاكل التّعليم بتوظيف آليات العصر لإيجاد الحلول التّربوية في كيفيات تلقين الدروس بتوظيف آليات بديلة سهلة تعمل على تقريب المادة للمتلقي، وتكون بديلاً للسبورة والطبشور والوسائل التّقليدية القديمة.

ومن خلال هذا نقول: إذا كان التّدريس في مَعناه العامّ يعني تبليغ المهَارات والأهداف باستعمال وضعية تربوية مُعيّنة، فإنّ التّدريس باستعمال الأجهزة يتعلّقُ بتوظيف أدوات تعليميّة لتبليغ الدرس من مثل: E A 0Enseignement assisté par ordinateur وهنا يتعلّق بتفاعل بين مُتعلّم وحاسوب فقط، أو بين مُتعلّم ومُعلّم يُدير الحاسوبَ، وهذا التّعليم يأخذ أشكالاً مُتعدّدة، وهو سريع التّغيّر؛ بما يُوظّف من برمجيات التّدريس، فهناك الشّفافات، والشّرائح، والأنظمة الشّبكية الجاهزة. وهناك تَعَلُّم مُبرمج E P OEnseignement programmée par ordinateurوهو الأكثرُ شيوعاً؛ وهذا البرنامج "عمل مُفرْدَنٌ سواء بالنّسبة للمَسار المتّبع أو بالنّسبة لوتيرة التّعلّم، يُعامل فيه الخطأُ كإجابة من إجابات أخرى، ليس كَغَلَط، كما يتمّ فيه تدعيم الإجابات الصحيحة وتثبيتها فورياً[3]".وهناك تعليم شبه تقليدي، وهو تعليم سَمْعِي-بَصَري Enseignement audio-visuel وتُستعمل فيه بعض الأدواتُ التّكنولوجية بصورة كاملة أو جزئية، ويتعلّق الأمرُ بتقنيات الرّبط بيت السّمع والبصر. وفي الوقت الحالي هناك بَرْمَجِيات مُتنوّعة في الشّابكة تقوم بنفس الوظيفة، وكلّ برمجية لها مَسارات ومَنهجيات مُتعدّدة. والزّمان كفيل بمنتوجات تَتَلاَحَقُ، وكلّها تَنْشُد وُدَّ المستعمل وبالمجان، بل تُقدّم له تسهيلات نوعية، وتُلاحقه في قاعات الدروس، وفي المنزل، وفي السّفر، وحيث يَتَواجد، باستعمال بَرْمَجيات الاختصاص، وبمراعاة الحال والمقام والمكان؛ فبمجرّد كتابة الطّلبية تأتي السّلعة المطْلُوبة، وبالتّنافسِ الكبير.

1/1. تكنولوجيا التّعليم:إذا كان تعريف التّكنولوجيا تعني التّقنية والفنّ والمهارة في استعمال الأجهزة والوسائل التّقنية، وجَعْلها تتفاعل مع وعي الإنسان بما يعمل على تسهيل مَهَامه، وضبط وقته، وحُسن تقديم خدماته، فإنّ الوعيَ بها من حيث ضبطُ البرمجيات وتأطيرُها في التّعليميات، وتعييرُها في الذهنيات أكثر من ضرورة لما سوف تُقدّمه من تغيّير، وما تتركه من أَثَرٍ، ولهذا استفزّتْ هذه التّكنولوجياتُ مُربين وعُلماء، ودعتْهُم إلى الخروج من النّمط التّقليدي إلى عالَم اللّمس، والعيش في عالم الرّقمنة بما له من تواصل فعّال وسريع، وما يفرضه من مُعطيات أن تكون أو لا تكون، وبما أثبتته تلك التّقنيات من نجاعةٍ ونجاح من خلال الاستعمال، وما خَلُصَتْ إليه تلك الدراساتُ من النّتائج والأثر حول تكنولوجيا التّعليم"... خلُصت الدراساتُ إلى أنّ الوسائطَ الرقميةَ تُراهن بصفة عامّة وفي جميع مجالات استعمالها، ومن بينها التّعليم، على الفعالية والفورية وكثافة المعلومات والتّفاعلية، وتوفر لهذا الغرض مؤثّرات صوتية وبصرية، بالإضافة إلى السُّرعة والحركية والتّكيّف والإضافة والحذف وسهولة الاستنساخ[4]". وكان الأمرُ واضحاً بأنّه يجب أن نكونَ، وليس لنا إلاّ خيار أن نكونَ في عالم التّكوين والتّكوّر، وإلا سوف نُخرج من الجغرافية، كما خَرَجْنا من الحضارة؛ لأنّ عالَمَ اليوم هو عالَمُ تكنولوجيا

الإعلام والتّواصل بمُعداته الجبّارة وبما يحمله من تكنولوجية رقمية، وبِقُدراته الهائلة، وبإمكانياته اللامحدودة، وبالجديد الدائم.

2/1. العملية التّعليميّة: يدخل فيها تكنولوجيا التّعليم التي وفّرتها تكنولوجيا الإعلام والاتّصال، ويعني ذلك انخراط ذاتي للمُتعلّم النّاتج عن تفاعله مع برنامج ديداكتيكي، في برامج اللّسانيات التّطبيقيّة الذي هو فرعٌ من علوم اللّغة يبحث في التّقابل اللّغويّ . تحليل المحتوى . تعليم اللّغات . علم اللّغة النّفسيّ . علم اللّغة الاجتماعيّ . اللّسانيات الحاسوبيّة . صناعة المعاجم . التّرجمة . علم اللّغة التّطبيقيّ . علم اللّغة النّظريّ وينشطر عنه: علم الأصوات + علم الدلالة+ علم القواعد+ علم اللّغة التّاريخيّ.

وإنّ العملية التّعليمية التّطبيقية في هذا المجال تتعلّق بالطّابع الاجتماعيّ، وبتحسين الاستعمال اللّغويّ وإيجاد الحُلُول لمشاكل المجتمع اللّغويّة والاتّصاليّة والكتابيّة. وهذا لتحقيق أهداف اللّسانيات التّطبيقية وهي:

1. حلّ المشكلات اللّغويّة.
2. تيسير تعليم اللّغات.
3. تصحيح الأخطاء.
4. ترقية الأداء اللّغويّ.
5. حماية اللّغات.

وهكذا تتعامل العمليةُ التّعليميةُ مع هذه الوسائط من خلال التّخطيط والإعداد والتّنفيذ في العملية التّعليمية-التّعلّمية، وتعمل في انسجامٍ مع العناصر البشرية لتحقيق الارتقاء بالتّعليم في إطار تفاعلٍ مُتبادلٍ. وعندما نتحدّث عن توظيف هذه التّكنولوجيات في التّعليم؛ نتحدث عن وجود أجهزة+ مُستعمل مُتقن+ مُستعمل ذكي يعمل على التّطوير+ مُستعمل يُحافظ على أمن المعلومات+ طالب مُتعلّم، ويلحق بها حاسوب/ حقيبة رقمية/ سبورة تفاعلية/ مِجْهار/ عَتَاد مَعْلُوماتي/ الشّابكة/ البوابات الإلكترونية/ بنوك المعطيات/ التّطبيقات... وهذه كلّها تحتاج إلى استثمارها في تكنولوجية العملية التّعليمية.

وانطلاقاً من هذا، بدأت تتشكّل بيداغوجياً تكنولوجيا الإعلام والتّواصل، وتأخذ منبعَها من علوم التّربية بما قدّمتْه من فُتوحات علمية ولما لها من مُرونة الملاءمة في مختلف الاستعمالات، ووفق الاختيارات وقناعات المدرّسين، وكيف تتفاعل هذه الوسائط على مستوى الممارسة في علاقتها بالأهداف المتوخاة من العملية التّعليمية. ولكن ليس كلُّ مَطْلوبٍ مَرْغوباً، وليس كلُّ مَرْغوبٍ مَطْلوباً، وفي ذلك قناعاتٌ واختياراتٌ وأرضياتٌ معرفيةٌ وغاياتٌ، وفي هذه الغايات يقع التّنافس كما يقع التّنافر، ومن خلال ذلك تُطرح أسئلةُ التّكنولوجيات التّربوية نفسها. كما يمكن ان نشير بأنّ هذا الفِعْلَ سبق أن ظهر في الرّاهن الثّقافي والأدبي الذي انفتحَ على مسار التّحديث، انفتحَ على تقانة العصرنة التي تأتي في مُقدّمتها الثّقافة التّكنولوجية بوسائطها الرّقمية، وحصل ما يُسمّى بالأدب الرّقمي؛ ويعني ذلك ممارسة إبداعية مُقترنة بشروط وثقافة وتقنية خاصّة. وهذا ما نروم الاشتغال به في مجال التّربية والتّعليم لتحقيق استعمال اللّوازم الحديثة والعمل على تفعيل

منطق الملاءمة بخصائص العربية، دون التّسامح في المعيار، بِمُراعاة مقبولية الاستعمال. ولا أخفي بأنّه سَكَنَنِي هاجسُ تطوير العربية والذي لا يأتي إلاّ مِن:

ـ **رجال التّربية والتّعليم**: الذين نروم منهم أن يلاحقوا عصرهم، ويعملوا على استنبات خطاب معرفي تعليمي لأدبيات الأدب الرّقمي وجهازه المفاهيمي، بخطاب يضيء أدباً وعلماً يساعدان على مواكبة تحوّلات اللّغة في حواملها الرّقمية. ومن هنا فاستعمال التّقانات تحيين للدروس وللإبداع ولمنهج التّلقين؛

ـ **رجال الإعلام**: بما يستعملون من وسائل حديثة مُسايرة للمُستجدات والإبداع فيها؛ لتجدّ العربية محلّها فيها. رجال الإعلام الذين يعملون على تقديم النّقود على المنجز المعرفي بخطاب إعلامي يُضيء عوالم الحداثة بهذه اللّغة.

2. أسئلة التّكنولوجيات التّربوية:

1. ما هي آثار هذه التّكنولوجيات على التّعليم؟
2. ما هي آثارها على دور المعلّم والمتعلّم؟
3. كيف يمكن لهذه التّكنولوجيات أن تُطوّر المتعلّم النّاجح؟
4. كيف تُسهم هذه الوسائل في تحقيق مَنظومة تَربوية مُعولمة ذات جودة؟
6. ما هي السُّبلُ الكفيلةُ للوصول إلى مدرسة النّجاح؟

إنّ عالَم اليوم يعيش تحت وَقْعِ العَوْلَمَة، وعلى وَقْعِ انتصار ديمقراطية السُّوق، وقد تمظهرتْ حياتُنا العملية بامتلاء الفضاء الخارجي بالأقمار الصّناعية، والسّواتل، واستبطان الأراضي بالكوابل، مع توفير مَلايين من بنوك المعلومات في مُجتمع شَبَكِي، وهناك تحوّلٌ جَوْهَرِيٌ في إطار تغيّير الذهنيات، وعدم تحصين الأفكار، واضمحلال سُلطة الدولة الوطنية، وتتّجه مَعالمُ العصر إلى مُجتمعات المعرفة المبنية على "المعلومات والمعارف والتّكنولوجيات وشبكات البحث والتّطوير مُتكاملة الأبعاد، مَنظومة الطبيعة مُتشابكة العناصر، فإنّها لَتُطال الاقتصاد أو المجتمع أو الفكر أو السّياسة أو ما سواها كلّ على حدة، بل أيضاً مَنظومات القِيَم والهُويات والتّمثّلات والسّلوكات، وقبل كلّ هذا وذاك، مَنظومة اللّغة باعتبارها النّاظم الرّمزي لكلّ هذه المستويات مُجتمعة أو بمفردها المعبّر عنها والفاسح لها في سبيل الفعل والتّفاعل[5]". كما لا ننكر دورَها في نسيج العملية التّعليمية-التّعلمية، ونجاحها مرهون بتوفير هذه التّكنولوجيات، ومرهون بمعرفة استعمالها استعمالاً مُفيداً مُضيفاً، وهناك من يرى أنّ هذه الوسائل خلقت أزمةً تربويةً، بل كانت من بين عوامل فَشَل بعض المنظومات التّربوية "... التي يجمع المختصّون على اعتبارها كأحد العوامل الأساسية التي أدخلت نظامَنا التّعليمي في أزمة البنيوية، فانعدام هذه الوسائل أو التّوظيف العشوائي والغير المعقلِن لها، وغياب الوعي بماهيتها وأدوارها ومُرتكزاتها النّفسية والبيداغوجية والديداكتيكية هو الذي يَعُوق نجاح المنظومة التّعليمية، ويَحُدّ من فعاليتها[6]". فإذا وَصَلْنا إلى هذه الأمور، فتكون إجابات الأسئلة بما نراه في الوعي الجمعي للأفراد، بملاحظة أنّ التّربية الرّقمية عملت على انكسار رقمي نُخبوي فأضحت العامّة تتعامل مع الإدارات الحكومية إلكترونياً، وأبانت بعضُ الدراسات عن تقليص أميّة الشّفرة فالكثير من الأميّين يستعملون الهواتف، بل حتى الهواتف الذكية، بالإضافة إلى استعمال المصطلحات العلمية المصاحبة لها، وهناك معرفة بسيطة ببرمجة الساعة الرقمية في الآذان في الإيقاظ... وفي ذات الوقت عملت على بعض التّحريف، وهذا من فِعْل

بعض آلياتها التّنميطية التي تعمل على خَرْق الهُويات والثّقافات والتّعدّي على اللّغات، لأنّ منتوجَ هذا العصر من الآلات حَظِيَ باهتمام مُفرط على حساب المضامين الرّقمية، وعلى حساب القيم والخُصوصيات، وكثرت المعلومات التي قتلت المعلومات، وظهرت السّرقات، والعمل بالسّطحيات Couper –Coller ولم يقع التّفريق بين الأداة كوسيلة والبيداغوجيا كفعل فاختلطتِ الأمورُ عند البعض منّا؛ بتحويل هذه الآلات عن مَقْصَدِها. فهل خسرنا –نحن العرب– في هذا الزّخم المعلوماتي؟

لا يقع الجزمُ بالخُسران، ولا النّفي بالفُقدان، بل وقع التّنبيهُ للرُشدان، فكان المقصدُ بثَّ التّغيّير في الوِلدان، لِمُسايرة الحَدَثان، والتّنبيه إلى ضرورة أن نكونَ أو لا نكون، أن نكون بهُويتنا اللّغوية أولاً؛ لأنّ قيمة اللّغة تُقاس بما يُنجز فيها من مَنشورات علمية رصينة، وبراءات اختراع، وبنوك المعطيات، وعدد المواقع في الشّابكة، وعدد مُزودي الخدمات، وعدد البوابات، وعدد المبحرين فيها "وعلى الرّغم من غنى العربية وثرائها، كتابةً ونحواً وإبداعاً لفظياً وثروةً لفظيةً وكثافةً في المضمون؛ فإنّها تعاني اليوم كمحصلة بالأساس من أزمة حقيقة ليس من حيث كونُها وسيلةَ اتّصال وتواصل، أو وعاءَ رموزٍ وتمثّلات ومُعتقدات، ولكن تحديداً من حيث قصورُها البنيوي في إنتاج المعرفة وتوليدها وترويجها على مستوى بني جلدتها كما على المستوى العالمي، سيّما في ظلّ تزايد مدّ العولمة اللغوية... لدرجة دفعت البعضَ إلى اعتبار أنّها تكاد تُصبح عالقة ثقافية مُستديمة[7]". ولذا من الضّروري إدماج تكنولوجيات الإعلام والتّواصل في دروسنا الجامعية، ومن شأنها أن تُساعد على بناء أسس مَعرفية مَدروسة، وهذا مَطلب مُعاصر، بل إنّ ذلك ما يعمل على تحسين العمليات التّربوية في اللّغة العربية التي تُوصَمُ بأنّها تكرهُ التّكنولوجية وعلينا –نحن الأساتذةَ– التّدربَ على حسن توظيفها، وممارستها، وبرمجة دروسنا عبرها، وكان الأجدر بنا –نحن المشْرِفين– تطبيقَها على طلابنا القادمين على المناقشات في ضرورة استعمالها في مناقشاتهم.

والحقيقة أنّ تكنولوجيا التّعليم كانت وَخْزاً للضّمير نحو نشدان التّغيّير، ولا بدّ من الإقرار بأنّ عدم استعمال الوسائط التّكنولوجية هي نقيصة، ويظلّ الأستاذ هو العنصر الحيّ والفاعل في العملية التّعليمية فلا بدّ من صناعته صناعةً مُحْكَمَةً، وتمكينه من تكوين مُستمرّ على المدى المستعجل؛ ليصبحَ أستاذاً ناجحاً مُرَقْمَناً، وذلك ما يضمن الفعاليةَ والمردوديةَ في العمل التّعليمي، وهو الذي سيُحقّق مهنةَ صناعة التّدريس، ويجعلها واضحةَ الأهداف والغايات، وقابلةً للتقويم، ومُتكيّفةً مع الرّاهن، وقابلةً للتّطوير ومُستعدّةً لتوظيف هذه التّكنولوجيات، ويدخل كلّ ذلك في الأمن اللّغوي الذي تنشده كلّ الشّعوب.

وبمثل ذلك الأستاذ المعاصر تَرْفَع لغتُنا هامَتَها، ونحن نرفع رايةَ هذه اللّغة، فكيف يمكن التّعالي بها والمنافحة من أجلها بمنظامٍ تقليديٍّ، وكيف نجيب أولئك الذين يقولون: إنّهم لا يزالون في لغة الجنازات والشّعر والأدب، إنّهم لا يعيشون عصرهم، وكيف نردُّ ونقول: إنّنا رقميون مُعاصرون مُبدعون وناجحون فلا بدّ من قَرْنِ القول بالفعل.

3. إكراهات الحاضر: لا ننكر أنّ هناك مُفارقاتٍ مُعاصرةً تولّدت مع الحياة المعاصرة في ظواهر التّعقيد والتّركيب في شتّى المسائل، فالمجتمع المعاصر له تركيبُه وطقوسُه وعلاقاتُه المتداخلة والتي يصعبُ التّفريقُ بينها في بعض الأحيان، وقد ظهرتْ حديثاً في أشكال وصُوَر مُختلفة، وتفرض التّغيّير والتّنميط؛ بفعل الثّورة الرّقمية، وتضع العالَمَ أمام تحديات وأسئلة

جديدة في عصر العِلْم والتّقانة وثورة المعلوماتية، وغزو الفضاء، واقتحام المحيطات، وعصر التّفجّر المِعْرِفي. كما أنّ الزّمن المعاصر يفرض التّفاعلَ مع الغير، ضمن عولمةٍ لا تُراعي الخُصوصيات، فنرى الشّدَ والجذبَ بين الغالِب والمغلوب، وفي الأخير نحن مَغلوبون على أمورنا، لأنّنا لم نُسْهِمْ في تقانات الشّبكة، لم نُشارك في صُنع هذا المصير المحتوم؛ لتحقيق معادلة الاندماج العَوْلَمِي ضمن الخُصوصية. وإنّ قانونَ القويّ غيّرَ الموازينَ، فحوّل طبيعتَها إلى المنفعة، وقلّب مَعالمَ الرّبح والخسارة، وأحياناً يغلّب الفشل على الفوز، بلهَ الحديثَ عن تلك الأسئلة التي نبقى حيارى في الردّ عليها، أسئلة تُطرح في وضع أضحى شبيهاً بطوفان عاتٍ يُجرف بقوّته الخارقة مُجتمعات مُشكّكة في هُوياتها، ويخلق أزمةً في القِيَم في عالَم مُتغيّر، أزمةَ تغريب القِيَم في ظلّ العولمة، وأزمةَ الاختراق التي تحمل صراع الثّقافات.

ولكن ما دور في إكراهات الحاضر؟ ذلك ما نروم أن نجيبَ عنه، بأنّ التّنافس لا بدّ أن يكون رغم تخلّفنا، وتخلّفنا ليس قدراً لا يُرفع، إكراهات الحاضر يمكن التّغلّب عليها بمسايرة المستجدات العولمية التي لا يجب محوَها من روزنامة يومياتنا، فأن تفكّر في الحلول خير من هجران الحديث عن مسار العصر لأنّ واقعَ العصر لا يريد الفراغ، ولا يترك المكانَ للشغور، فأن تساير الأحداث، وإلا ستكون من التّاريخ الأسود الذي هو مخصّص للضعاف.

إكراهات العصر هو جعل العربية تعيش عصرها بما لها من خصوصيات، وما لها من مضايقات، فأن نعمل على فتح تلك المضايقات الداخلية والخارجية لجعلها تستجيب للآلات، تستجيب للمختصرات تكون لغة علمية في نحوها وصرفها وفلسفتها. ولن يكون ذلك إلاّ بمسلك المدرسة المعاصرة التي يقوم عليها مُعلّم مُعاصر، ومُسيّر حديث، ومِنظام جديد، وفريق من الباحثين النّشيطين العاملين على الحداثة والتّطوير، ويحتاج كلّ هذا إلى ثقافة معاصرة تقبل الأخذ والعطاء.

4. التّحدّيات التّربوية الحاضِرة والمُستقبلية:هي كثيرة، ولكن يمكن التّركيز على: توفير التّعليم وتعميمه وإجباريته، وتحسين قاعدة العاملين في التّربية، وتطوير التّجهيزات، ومراعاة النّمو الديمغرافي الذي تُصاحبه زيادةٌ في الأُميّة. وإلى جانب هذه التّحدّيات، يمكن الحديث عن ذلك الفراغ الذي نعانيه في:

. الفجوة العلمية بيننا وبين الشّعوب المتقدّمة.

. الفجوة الرقمية الواسعة.

. كثرة وسائل الإعلام وتعدّد لغاتها.

. مزاحمة اللّهجات للغات الرسمية.

. البطالة والإجرام والعنف.

. الغزو الثّقافي المقْلِع للهُوية.

والسّؤال الجوهري: كيف نُعِدُّ جيلاً يقف أمام هذه التّحدّيات؟هذا ما يجب التّفكير فيه، بل تعود الكلمةُ للنّخبة التي تُقدّم القراءاتِ العميقةَ لمن يُهمّه الأمر، علّه يصنع القرارَ. وأهمّ نقطة جامعة في هذا المجال هي مسألة تخطيط السّياسة اللّغوية والتّربوية، فإذا وقع التّخطيط العقلي والمنطقي، لا شكّ أنّ عوامل النّجاح مُحقّقة[8]. ولهذا كان علينا العمل بما يلي:

1. التّخطيط التّربوي العلمي القائم على الكمّ والنّوع في كلّ المجالات.

2. بناء مناهج جديدة تُساير تلك التّطورات.

3. إعداد مُعلّمين أَكْفِياء.

4. إجراء البحوث التّربوية الميدانية.

5. قبول المراجعة والتّقويم.

ومن ثمّ نطرح سؤالاً آخر وهو: ماذا نعلّم للتّلميذ المعاصر؟

كلّنا يعرف أنّ هذا الجيلَ يختلف في قالبه عن سلفه، فهو جيلٌ سريعٌ سرعةَ الزّمنِ المعاصرِ، جيلٌ له نظرةٌ مُغايرةٌ لنظرتنا أيام كُنّا شباباً، ولهذا أصبح جيلُ اليوم: التّلميذ/ الطالب المعاصر مَركزَ اهتمام البحث التّربوي، فإذا أردنا الوصول بالمجتمع المعاصر إلى المستوى الأفضل، علينا الاهتمامَ بالطّفل/ بالطالب المعاصر؛ فهو ليس مثل الطّفل/ الطالب القديم. الطّفل/ الطّالب المعاصر مُزوّد بكثير من آليات الذّكاء ويعرف حقوقَه، ولا يقبل الضربَ، ويُعْلِمُ أبويه بما يجري بينه وبين مُعلّمه. الطّفل/ الطالب المعاصر طفلٌ/ طالب مُشاكسٌ ومُناقش، وأحياناً مُناقض، لا يقبل حشوَه بالمعلومات، وله مُتطلباتُه التي لا تنتهي، فهو يريد توجيهَه على تنمية تفكيره، ومُحادثته والاستماع إلى رغباته، ومُناقشته ومُقابلته وجهاً لوجه، وإقناعه بالحجّة، وإشراكه في الدرس... ولهذا، فالمعلّم المعاصر عليه أن يُشركَ تلميذَه/ طالبه، ويخلقَ له الجوَّ المناسبَ للتعلّم، ويُشركَه في طرح الأسئلة والإجابة عنها، وعلى المعلّم المعاصر أن يكون واعياً بالنّمو المعرفي والوجداني والزّمني للطّفل/ للطالب المعاصر، ومدى قابلية هذا الأخير، وقُدراته واستعداداته.

وَوِفْقَ منظور التّربية والعولمة، نجد فيهما الطّفل/ الطالب المعاصر يتوزّع بين الهُوية والتفتّح، بين الثّبات والتّغيير، بين ثنائية الأصالة والمعاصرة/ الاتباع والاستلاب... كما يعيش على وقع التّجديد التّربوي، وأحياناً يُعلن تمرّدَهُ ضد المسكوكات النّواهي، والمحفوظات الأوامر، والكليشيهات البرّاقة والشّعارات الزائفة التي لا تأتي بالنّتيجة. الطّفل/ الطّالب المعاصر يكرهُ الاستعبادانيةَ والأبوانيةَ والبوليسانيةَ، ولا يقبل القهرَ، ولا الأوامرَ الزّجريةَ... وفي ظلّ هذه المستجدات، هل يمكن للمُعلّم/ للأستاذ أن يعملَ على تحقيق أبعادها؟ وهل يستطيعُ ركوبَ الثّورةِ التّنويريةِ التي تتطلّب تعبئةً للجهود ومُشاركةً عامّةً، وتقبلاً للآخر، وتسامحاً لغوياً؟

كلّنا مَعنيُون بالمسألة، ولكن المعلّم/ الأستاذ يتحمّل الجزء الأكبر والعاقبة، ولهذا عليه أن يضطلعَ بدوره في تقديم الحقائق، ويخرج من التّعليم التّقليدي إلى التّعليم التّكنولوجي، وهذا يتطلّب منه حسن احتواء المعلومات، وامتلاك الدافعية، ولن يكون له ذلك إلاّ إذا كان باحثاً نَشِطاً، ومُصمّماً لأنشطة تعليمية، وعاملاً على توفير الوسائل والتّقنيات اللازمة. وهنا يدخل عالم التّكنولوجيات الحديثة في العملية التّربوية، باستخدام الآلات والأجهزة التّعليمية، لتسهيل مَهارات التّدريس. ولا يحصل ذلك لدى مُعلّم الجيل الماضي، ولهذا نحتاج إلى مُعلّم/ أستاذ الجيل لتعليم الجيل.

بالفعل، ماذا يمكن أن نعمل أمام تلك التّحدّيات الداعية لفعل التّغيير، وفي نظرنا هو فعل عقوقي وهذا ما غَرَسَتْه مدرسةُ الهَيْمَناتية، ويبدو لي بأنّنا سوف نشهد المزيدَ من التّسامح في كلّ شيء، هناك عولمة إيديولوجية في بنية اقتصادية

إعلامية مالية، ومن خلالها سنشهد جموحَ أولادنا اللامحدود، وسنُبشَّر بزمن قادمٍ تلعب فيه الفسبكة

والتّوترة واللّويحة

والشّابكة 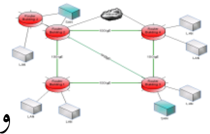 واليوتوبية والسمارتفونية

دورَ التّوجيه، بما ترفعه من أحلام وردية، وتطلّعات ورهانات وأدوار في دفع العديد من الشّباب إلى الثّورة على منظوماتهم وعلى قِيَمِهِم، فماذا أعددنا للتحوّل القادم؟ وهناك إنذارات كثيرة تتمثّل في تبخيس التّاريخ والتّنكّر للأجداد، والعيش في التّناقضات، والمسّ بالمقدّسات، وسوف نعيش رأسمالية مُتوحشةً، وأولادنا يرغبون في ذلك، بل يرفع بعضهم النّعرات القبلية والنّزاعات الطائفية، والدعوة إلى الانفصال، أو هدم ما تمّ بناؤه، فماذا أعددنا كي لا يقع ذلك الويلُ؟ وكان يجب رسم أبعاد التّصدّي، أو وضع الحدود الكبرى التي نسعى ألا يخرج منها أولادنا، ونعمل على تحقيقها، وهذا بـ:

. "المحافظة على الحياة الإنسانيّة وتطويرها وتجديدها باستمرار نحو الأحسن بما يُلائم التّطوُّرات والحاجيات والمتطلّبات والمستجدات.

. التّدرب على الحياة الاجتماعية، واكتساب عادات العيش مع الآخر في تعاونٍ وتضامن وتكامُل جماعي بِغَضِ النّظر عن اختياراته ومُيوله وعقيدته...

. التّدرب على الديمقراطية، وتعلّم ممارسة الحرية والمسؤولية، واكتساب الوعي الاجتماعي والاستقلال الذاتي...

. اكتساب مهارة التّكيّف مع الحياة الواقعية دونما استسلام أو تفريط في المبادئ والاختيارات التّحررية واستشفاف آفاق المستقبل نحو حياة مأمولة مَطلوب المساهمة في بنائها، وجعلها حقيقةً ملموسةً من خلال فِعْلِ النّاسِ وذكائِهم وفكرِهِم في جوّ من الحُرية والمسؤولية...

. اكتساب دُربة ممارسة الأنشطة الخلاقة والخيال المبدع، والتّخطيط للمُنجزات المفترض تحقيقها...

. البحث الدّؤوب في أسباب الإعاقة الاجتماعية والاقتصادية، وأسباب التّخلّف والتّصدي لها بالبحث والدراسة والمواجهة دون تردّد، مهما كانت، وكيفما كانت، وفي مختلف الظّروف.

. امتلاك القدرة على حلّ المشكلات بمختلف أنواعها، والتّدرب على كفايات التّفكير..."[9]

ومن خلال هذه المحدّدات نجد التّربية والتّعليم تُسهم في عمليات التّغيير الثّقافي السّلمي، أو ربّما تقلّل من الصدامات، كما نجد عاملَ تكافؤ الفرص مُطبّقاً، وما يتبع ذلك من ديمقراطية التّعليم، ونكون بذلك قد جسّدنا التّوسّط بين هذه المفارقات الكبيرة، والتي لا يجب أن نُعلّقها على المدرسة وحدها، وإن تتحمّل الجزءَ الأكبرَ في ذلك.

وتتحمّل المدرسةُ العبءَالأكبر في إشكالين هاميْن، وهما:

1/4ـ إشكال المنهج التّعليمي، إنّ مناهجَنا تنطلق من الرّؤى العربية الوطنية، ومن الرّؤى الكونية لإكساب المتمدرس المعرفة بما يتوافق وعمره العقلي وبطرائقَ حديثةٍ، وإشباع حاجاته العامّة بالعِلْم والثّقافة، وإكسابه مُختلف المهارات التي تجعل منه رجلَ المستقبل، هذا في المستوى النّظري، ولكن في التّطبيق عكس هذا، فنجد تناقضاً بين المأمول والواقع، ولذلك تُصنّف بلادنا تربوياً في الدّول المتأخرة ونرى مدرستَنا الحاليةَ ما تزال تعيش بين ثقل الماضي، وكهولة الحاضر، فقد دخلت مُنعرجاً حَرِجاً، وما تزال تعيش وضعية اللاتطابقIndéquation بين مُخرجاتها وقطاعات الشّغل، وتجلّى ذلك في عدم كفاية المردودية المتمثّل في الضّعف اللّغوي والبِطالة، مع ما يُسجّل من مُعضلة الأُميّة التي لا تزال جراحات عميقة في وطننا، و7 مليون أمّي ليس بالمسألة الهيّنة، بل هو ما يَطرح سؤالاً كبيراً حول نجاعة النّظام التّربوي، وتلك الخُطط التي وُضعت للقضاء على الأُميّة، ولم تستطع تقليصَ العدد، ومتى تحينُ ساعةُ الديمقراطية، ويصل الجميعُ إلى أنوار المعرفة؟ ومتى نربحُ رهانَ مُجتمعِ المعرفة؟ ولربح "رهان مجتمع المعرفة؛ يقتضي تحديثاً سياسياً حقيقياً، يُحدّد الاختيارات الكبرى والاستراتيجيات المناسبة لبناء المواطن/ الإنسان وِفقَ رؤية واضحة ولغات مُحدّدة. وأيضاً اقتصاد يضع في صلب أولوياته تأهيل الصّناعة الوطنية بأيادٍ وطنية، وكذا بلورة مشروع ثقافي/ قيمي مُرتبط بهُوية البلد يُعزّز من القيم الأصلية وفي نفس الوقت مُنفتح على الثّقافات الأخرى، بنفس استيعابي تواصُلي، غير مُستلب[10]". ويُضاف إلى ذلك ضحالة ما يحمله المنهاج المدرسي من مُفردات ومَفاهيم لا تعمل على الرّقي بفكر التّلميذ، بقدر ما تُعيقه عن النّظر إلى الأمام، وتغرس فيه النّظرةَ الماضويةَ بكلّ ما يحمله الماضي من مساوئ، وما كنّا نتعلّمه من مسكوكات عفا عليها الزّمان (سِيرُوا على قَدْرِ ضُعفائِكُم) والمسألة الأدهى أنّ المنهجَ التّعليمي في كثير من المِقامات مُستورد من بلاد غير بلادنا، ويريد المسؤولون أن يُطبّقوه على مُجتمع لا يَتَمَشَى وأرضيتَه المعرفية، ولا مع سلوكه الوطني، ولا مع تاريخه، ولا مع حضارته، وكأنّي بهم يريدون تنميطَه وفق أفكار الآخرين، وعلى أساس ذلك هو التّنوير.

2/4ـ إشكال تكوين المُعلّم. من أسباب ضعف المستوى اللّغوي لدى التّلاميذ ضعف المعلّم في المِقام الأول؛ لأنّ المعلّم النّاجح هو الذي يصنع المنهجَ، ويُوجِد المحتوى، ويُبدِع في طرائق التّلقين، فهو قُطْب الرّحى كما يُقال "يعدّ المدرّس قُطْبَ الرحى في العملية التّربوية، وإليه يرجع الفضلُ في نجاحها غالباً، أو يرجع إليه السّبب في إخفاقها في الأعمّ الأغلب؛ إذ مهما تكنِ المناهجُ مبنيةً على أُسس علمية، فإنّها لا تحقّق أغراضَها إلاّ إذا كان يقوم بتطبيقها مُدرس كَفِيّ، ويمكن أن يُرمّم المدرّس إذا كان كَفِياً ومُتمكناً بعض التّعثرات في المناهج حتى لو لم تكنْ مَبنيةً على أُسُسٍ علميةٍ واضحة[11]". إنّ المعلّم المعاصر يعيش في عالَم رَقْمِيٍ، من خلال تعامُلِه مع العِلْم والمعارف الجديدة، والتّلاميذ لهم مُستويات مُتباينة في استعمال الأجهزة، فهم مُقبلون على الحاضر والمستقبل، فهل المعلّم سيعمل على التّغيّير لملاحقة مَعلومات عصره ويكون رقمياً؟ وهل يتأقلم مع التّقانات المعاصرة، في الوقت الذي يلعب التّلاميذُ بهذه الأشياء لَعِباً مُريحاً، فأين محلّ المعلّم منها؟

علماً أنّ الكثير من المعلّمين لا يَمَسُون مفاتيحَ هذا الأجهزة المعاصرة، فهنا الخلل، وكيف يمكن أن تتمَّ عمليات التّحويل والتّغيّير والتّنوير والتّوجيه والتّثقيف بمحرّك لا يقبل الشّحن، بمعلّم لا يستجيب. بالإضافة إلى الدّور المنُوط به تربوياً؛ وهو التّوجيه والإرشاد والتّعزيز والتّشجيع والبحث، فهل يقوم المعلّم بهذه الأطوار؟ والسّؤال المعاصر: كيف يُتَلاَفَى القصورُ في تأهيل المعلّم، أو في صُنع مُعلّم الغد؟ ولتأهيل المعلّم لا بدّ أن يكون العملُ ضمن المعطيات التّالية: التّمكّن من المادة ـ وتمثّل المنهج التّربوي ـ واعتماد المرونة في اختيار طرائق التّدريس ـ والتّركيز على التّطبيقات ـ والعمل بأسلوب التّشجيع والتّعزيز ـ والقدرة على التّعامل مع التّقنيات المعاصرة ـ والقدرة على تفهّم نفسية التلاميذ واحداً واحداً ـ القدرة على توظيف مناهج التّقويم.

5ـ المُعلّم في عالَم مُتغيّر: إنّ مُعلّم هذا القرن تنتظره مَهامٌ عديدةٌ، ومنها القضاء على ضعفه اللّغوي والعلمي، والحاسوبي، ويكونُ مُنتجاً ومُؤلفاً، ويعمل على ترقية تلاميذه في الدافعية والتّعلم، وفي المشاركة الإيجابية، ويعمل على التّغيّير الإيجابي. ومن هذا التّحليل يمكن القول: إنّ هذا المعلّمَ الذي يعيش في واقعٍ مُتغيّر، عليه أن يلعبَ دورَه، ويؤدّيَ وظيفته، كما يجب العلم بأنّه إذا حَصَلَ تكوينُ المعلّم تكويناً جيّداً، يمكن التّغلّبُ على كثير من المضايقات المعاصرة، فهو مُحرّكُ العملية التّعليمية، بل هو الذي يصنع المجتمعَ وِفْق تطلّعاته، ووفق المحافظة على خُصوصياته. فإذاً على المعلّم أن يزرعَ في تلاميذه ما يلي:

ـ **ثقافةَ الهُويةِ والمُواطنةِ**: على المعلّم أن يكونَ واعياً بمسألة الهُوية التي تحتاج إلى تحصين لتكونَ مانعةً؛ لأنّ هُويتَنا مَغْزوةٌ بثقافة أورومتوسطية؛ ثقافة فرنسية "فالضّرورة تستدعي أخذ هذه الإكراهات بعين الاعتبار، خصوصاً وأنّها باتتْ حاضرةً في حياة الأوطان مثلما هو الحالُ بالنّسبة للبلدان المغاربية؛ ذلك أنّنا عندما نفهم آلياتها. كما نحاول نحن هنا، فإنّ ذلك سيُمكّننا من تدبيرها عِوَضَ تَحَمُّل تبعاتها، بل وإدارتها على النّحو الذي يُتيح أحسن استفادة مُمكنة، مع الحدّ من تداعياتها وآثارها السّلبية[12]". وعن طريق زرع ثقافة الهُوية يمكن أن نتصدّى للتّنميط، على أساس احترام الخُصوصيات، ولا يعني الانغلاق بقدر ما يعني الأخذ والعطاء بصورة نديّة. فالرّهان مَأمول في إيجاد التّوازن بين الخُصوصي والكوني/ المحلي والعالمي، وعلى المثُل العليا أن تكون ظاهرةً على المستوى الأخلاقي النّظري، حيث يظهر الدين في الأمل والعمل.

ـ **ثقافةَ تعزيزِ المُواطنةِ اللُّغوية**: إنّ التّربية المعاصرة والعولمة اللّغوية لا تُقدّسان اللّغةَ الأمّ/ اللّغةَ الأمّةَ بقدر ما تنظران إلى نفعية ومردود اللّغة، كما تنظران للغة بما لها من عِلْمِية ووظيفة، كما أنّ مُجتمع المعرفة يتطلّب رأسمالاً مَعرفياً؛ يدير المدرسةَ المعاصرةَ وفق إكراهاتِ اليوم والمستقبل، وضمن مُضايقات التقانات للخروج بسند تربوي يتوافق وخصائص العربية. ووفق هذا المنظور، ما مقام العربيةُ في الرّأسمال المعرفي الذي تفتقر فيه إلى الحدود الدنيا؟ وهذا ممّا يطرحه الطّفل المعاصر الذي يرى لغته بعيدةً عن الاستعمال في القطاعات الحيوية؛ لأنّها تقوم عليها مدرسةٌ هزيلةٌ؛ لا زالت تعيش على مُخلفات الماضي، ولم تدخل عصر التّكنولوجيا بعد. غابت التّقانات المعاصرة عن مدرسة تعلّم العربية وبالعربية فما مَقام اللّغة الأمّ/ اللّغة الأمّة التي تُضيّقُ على التّلميذ الحدودَ؛ حيث يعتبُ المحيطَ الخارجي إلى التّعليم العالي فيجد تلك الثّنائية، وغلبة الفرنسية، وقلّة وجود اللّغة الأمّ في الوسائل المعاصرة، وفي العِلْم الحديث فيقع حائراً مُتسائلا: كيف قضيتُ اثنتي

عشرة (12) سنة بِلغة لا أتواصل بها، ولا أستفيد بها من تقنيات العصر؟ هنا تبدو الحيرةُ، ويظهر القلقُ،ومن ثمّ الشكُّ، وعند ذلك تُطرح أسئلةُ اللّغة:

ـ ما فائدة لغة لا تُؤكِلني الخبزَ؟

ـ ما قيمة لغةٌ لا أتواصل بها مع شخص يخالفني اللّسان؟

ـ ما بيان لغة لا تتّفق في الميزان، وميزان الحال هو التقانة؟...

ومن هنا تبدأ مَلامحُ الخُصوصية في الاضمحلال أمام لغة العولمة التي ما استطعنا فيها البروز، وما تركت فينا لغة الهيمنة ممّا يحوز، وكان القهرُ اللّغويُ الفرنسيُ السببَ في المآل، إلى ما نحن عليه من حال. ويلاحظ اللّبيبُ كيف تنهار اللّغاتِ الأمَّ أمام لغاتِ العِلْم، ويظهر بُعدُ المآل في الوعي بمأزق التّنميط، فلا جدالَ بعد ذلك بأن اللّغةَ العربيةَ بما لها من مَقام أصبحت لا تُنشد في ذاتها، فما العملُ؟ وإنّ الجامعَ الأكبرَ في كلّ هذا هو سؤالُ الهُوية اللّغوية، والآن نعيش زمنَ ضياع الهُويات، هُويتنا اللّغوية في خَطَر؛ ولإنقاذها من الخَطَر، كان علينا ترقية هذه اللّغة لتكون عِلْمِية، وللنّفاذ إلى مصادر المعرفة؛ وإذا عَمِلْنا بهذه الأمور، سوفَ تتقلّصُ الفجوةُ الرقميةُ، وتنال العربيةُ مَقامَها في أوطانها أولاً، ثمّ بين اللّغات العالمية ثانياً، وفي مواقع التّواصل الاجتماعي دائماً. وأمام التّعثّر في التّواصل العادي، وأمام الكثير من المضايقات، إلى أين تسير الأمور، وتبقى معنا ثلاثةُ اختيارات:

1. "القطيعة مع الآخر، واختيار سِجْن الآخر (السّلفية).
2. القطيعة مع الأنا، واختيار سِجْن الآخر (التّغريب).
3. القول بالتّفاعل وما يقتضيهمن ثَمَن (التّوفيق)[13]".

وفي الحقيقة لَسْنا في موقع الاختيار، ولا بدّ من تدخّل أُولِي القرار، لأنّ العربيةَ في ذاتها لغةٌ طبيعيةٌ وعلميةٌ، وهي لغتُنا وقدرُنا، وكلّ لغة وقع الاهتمام بها تترقّى، ولكنّ المعطيات الحضارية المعاصرة، وفعل العولمة يَسْعَيان للقضاء على اللّغات الوطنية، فهل يعني ذلك الرّضوخ والاستسلام للأمر الواقع؟ يجب الوعيُ بأنّ العربَ جميعاً لا حياةَ لهم بدون هُويتهم اللّغوية الممثّلة في العربية، وكان عليهم العمل على أن تكون حاضرةً كأداة ووسيلة الوجود، وبدونها لا يُساوُون جناحَ بعوضة، وبدونها لا يَصِلُون إلى صُنع إبرة وما سمعنا بأنّ مجتمعاً تقدّم بلغة أجنبية بتاتاً. إذاً لماذا لا نقصد طريقَ تعميمِ استعمالِ العربية في مواطنها، ونغلق هذا الملفَ بصورة نهائية، لماذا لا نطرد من أنفسنا فعاليات وتوجيهات الفرنكفونية والكمنويلثية، ونصبح مثلنا مثل الشّعوب التي تُقدّس لغاتِها، وهي مُحترمة بلغاتِها، لماذا نحن العرب نكراتٌ في هذا المجال.

وقبل الختام يحتّم علي المقام استعراض بعض التّوصيات التي أُقرّت في كثير من المناسبات العربية ومن خلال منظمة اليونسكو، في مجال التّربويات خاصّة، بالتّركيز على عالم التّكنولوجيات، والتي خرجت بها توصيات المؤتمرات، فنرى التّنصيص على ضرورة استحداث تَخَصُّصات علمية ضمن المناهج الجامعية تُواكب التّقنيات الحديثة مثل هندسة اللّغة على نحو يُسهم في تطوير تقنيات مُعالجة اللّغة وتذليل العقبات التي قد تعترض تطوّرها على الصّعيد التّقني الرّقمي. فإذا ألقينا نظرةً على إعلان دُبَيْ 25 نوفمبر 2012 حول (لننهض بلغتنا) نراه ينصّ في باب (اللّغة العربية وتحدّيات العالم العربي) على أهمية استعمال التّكنولوجيات المعاصرة في التّعليميات، وهذا عبر المواد التّالية:

32. العمل المنهجي والدّؤوب على رقمنة اللّغة العربية، وإثراء المحتوى الرقمي عبر إنشاء مركز عربي يُعنى باللّسانيات الحاسوبية، ويحرص على ترسيخ أُسس ومَعايير تلتزم بها جميع الدول العربية لضمان إنشاء بنية عربية شاملة تدعّم جميع المِشاريع والمبادرات، وتَحُول دون ضياع الجهود والموارد المالية في مشاريع مُتكرّرة، أو تمنع عمليةَ التّكامل في تحقيق الأهداف الرئيسية لرقمنة اللّغة العربية، وإثراء المحتوى العربي.

33. التّشديد على أهمية مُعالجة مسألة المحتوى الرّقمي العربي من خلال نظرة مُتكاملة، تأخذ بعين الاعتبار طبيعةَ الخصائص التي تُسْهِم بها البيئةُ العربيةُ وطبيعةُ الآليات المطلوبة لإنشاء المحتوى وخزنه في المستويات الرّقمية، وتداوله، وعرضه ضمن شبكات المعلومات المحلية، وشبكات الإنترنت، مع الأخذ بعين الاعتبار الأبعاد الثّقافية والقانونية ذات الصلة بهذا الموضوع.

34. دعوة الحكومات العربية مُجتمعة، وبالتّنسيق في ما بينها؛ لأن تتحمّل مهمّة توفير المناخ المناسب لدعم صناعة المحتوى الرقمي من خلال طرح مُبادرات عربية لرعاية الابتكار في هذا القطاع، ومنح مقاعد دراسية في المؤسّسات الدّولية الرّصينة للمُتميّزين في مجال رقمنة اللّغة العربية ومُعالجة المحتوى الرّقمي.

35. العمل على مُواكبة التّطوّر السّريع في عالم النّشر الرّقمي، وحشد الموارد اللازمة للاستثمار في هذا المجال الجديد، وتوظيف مهارات الأطفال والشّباب في التّعامل معه في مجالات التّربية (اللّوح الذكي) وكُتُب المطالعة قراءةً واستماعاً.

كما أنّ مشروعَ لاستشراف مستقبل اللّغة العربية يثير ضمن خمس عشرة قضية أساسية هي واقع اللّغة العربية، ويؤكّد بصفة خاصّة:

- المستقبل الرّقمي للغة العربية.
- اللّغة العربية ومناهج التّعليم ما قبل الجامعي.

كما يثير همّاً كبيراً، ويعتبره من قلق العربية، في عدم إيلاء العرب تكنولوجيا التّعليم أهمية، ويأسف المشروع على تَمَسُّك العرب بالتّقليدانية في تدريس اللّغة العربية، بينما تدرّس في بعض البلاد العربية المواد العلمية بالعربية، وباستعمال هذه التّكنولوجيات، فيقول: ماذا يُضير مدرسُ اللّغة العربية من خلع رداء الماضَوِية، واستعمال تكنولوجيات التّعليم في تدريس النّحو والبلاغة والقرآن والحديث. أفي ذلك عيب أو محافظة على نمط ترسّخ في الأذهان، ولا يريد به بديلاً[14].

ومن المؤكّد أنّ مَجامِعَنا اللّغوية تضطلع بمسؤولية علمية وحضارية في الدّفاعِ عن العربية وتحديثِها وإنعاشِها بتكنولوجيا التّعليم، وتلوح أضواءٌ إيجابيةٌ من هنا وهناك، وتظهر مبادراتٌ للنّهوض من جديد على ضوء المقولة (أشعلُ الشّمعةَ بدل البقاء في الظّلمة) وتظهر خطوات إيجابية على مستوى استخدام العربية في وسائل التّواصل والتّعليم، رُغم بعض الهفوات. والمطلوب منّا هو توظيف هذه الروح الجديدة من خلال تضافر الجهود، وتنسيق المبادرات، وحشد الأدوار لمزيد من العمل الجماعي للنّهوض مرّة ثانية، والوقوف نداً مع مُنتجي هذه التّكنولوجية الرّقمية التي بدأ العمل على استنباتها في أوطاننا، والعمل على تطويرها.

- **الخاتمة**: آملُ من خلال هذه الكلمة الافتتاحية أنْ أحرّك الإحساسَ في نفوس الحاضرين والمهتمين بضرورة صناعة المدرّس النّاجح والجامع بين التّراث والحداثة؛ مُدرّس مُرقْمَن، وأن نُوفّقَ من خلال ذلك في الوصول إلى الرأسمال المعْرِفي

لتجسيدِ مُجتمعِ المعرفةِ. وإنّه إذا أَرَدْنا مُعاصرةً لمدرستنا وجامعاتنالا بدّ من التّأسيس للمَضامين الرّقمية الجديدة؛ بدل التّأسيس والإصرار على مناهج عَفَا عليها الزّمان، وكلّ هذا يحتاج إلى إنتاج أفكارٍ، وإلى جهودِ الكثير من الهيئات تَفَادِياً لما يُمكن أن يَنْتُج من مُضايقات غير مُرْضِية، وتَفَادِياً لكلّ فَشَل. ومن هذه الجامعة أرومُ أن تخرجَ دعوةٌ صريحةٌ للاهتمام باستخدام المحتوى الرقمي في الجامعات الجزائرية، ويقدّم إلى مديرية البحث العلمي بوزارة التّعليم العالي والبحث العلمي.وأَصْدُقُكُم القولَ؛إنّكم سوف تُسَجِّلُون رَقْماً مُضَافاً في خدمةِ الشّأنِ العامِّ، إذا جاءتِ المبادرةُ من جامعة سيدي بلعباس؛ جامعة الباحث (جيلالي اليابس) الذي أَفْنَى نفسَه يخدم البحثَ، جامعة بلعباس التي لها رُتَبُ الصَّدَارة في التّصنيف في الجامعات الوطنية، ويبدو لي أنّها لا تَتَوَانَى في الاحتفاظ بذات الرُّتَب وأن تكونَ جامعةً افتراضيةً مُرَقْمَنَةً.

ـ الاقتراحات:

1. مواصلةُ البحث في هذا الموضوع، مع التّخصيص في لاحقٍ من الملتقيات.
2. تبنّي جامعة سيدي-بلعباس إجبارية استعمال التّقانات المعاصرة في تقديم الدروس الجامعية.
3. ضرورةُ إدخال مادة الإعلام الآلي ضمن المواد الدّراسية في شُعَب الأدب العربي.
4. اقتراحُ مَشروع إنجاز المعجم التّربوي الرّقمي.
5. اقتراحُ مَشروع إنجاز مُصطلحات الأدب الرّقمي.
6. ضرورةُ تكوين كلّ الأساتذة في استعمال التّكنولوجيات ذات العلاقة بإلقاء الدروس، ومن لا يريد ذلك يُحال على التّقاعد.

الهوامش:

[1]. عبد اللّطيف الفاربي وآخرون، مُعجم علوم التّربية، مُصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، ط1. الرباط: 1994، سلسلة (علوم التّربية 9-10) مَطبعة النّجاح الجديدة، ص 108.

[2]. عن موقعwikipedia.org بتاريخ 22 فبراير 2015.

[3]. عبد اللّطيف الفاربي وآخرون، مُعجم علوم التّربية، مُصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، ط1. الرباط: 1994 سلسلة (علوم التّربية 9-10) مطبعة النّجاح الجديدة، ص 104.

[4]. محمد خرباش "تكنولوجيات الإعلام والتّواصل في التّدريس والتّعلّم: وجهة نظر" مجلة دفاتر التّربية والتّكوين. الرباط: 2010، المجلس الأعلى للتّعليم، العدد (3) مَطبعة النّجاحِ الجديدةِ بالدار البيضاء، ص 30.

[5]. يحيى اليحياوي "اللّغة العربية والإنترنت ومُجتمعات المعرفة في ظلّ العولمة" مجلة اللّغة والتّواصل. 2011 منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتّعريب، ص 213.

[6]. العربي عكروش "الوسائل التّعلمية: من العَشْوائية العائقة إلى العقلانية الفاعلة" مجلة علوم التّربية. الرباط: 2000 مطبعة النّجاح الجديدة بالدار البيضاء، المجلد الثّاني، العدد التّاسع عشر (19) ص 111.

[7]. نبيل علي، الثّقافة العربية وعصر المعلومات. الكويت: 2001، سلسلة عالم المعرفة، العدد 265.

[8]. ينظر: صالح بلعيد، السّياسة اللّغوية والتّخطيط اللّغوي في الجزائر: الواقع والمأمول. مقالة غير منشورة. أُلقيت في اليوم الدراسي حول (السّياسة اللّغوية والتّخطيط اللّغوي) بجامعة سعيدة، يوم: 11 مارس 2015.

[9]. المحجوب حبيبي، في الثّورة الاجتماعية والتّغيير والتّجديد في التّربية والثّقافة أولاً... المغرب: 2010، مطبعة المتقي برينتر بالمحَمَّدِية، ص 13.

[10]. رشيد جرموني "المنظومة التّربوية المغربية ومجتمع المعرفة تحدّيات ورهانات" مجلة علوم التّربية. الرّباط: 2011المعاهد، العدد السّابع والأربعون، ص 127.

[11]. محمود السيد، دراسات تربوية. دمشق: 2010، وزارة الثّقافة/ الهيئة العامّة السورية للكتاب، ص 82.

12. أحمد مُعتصم "اللّغات المغاربية في مواجهة التّفوّق التّقافي الأورومتوسطي" تر: البشير تامر، مجلة المدرسة المغربية. الرباط: 2011، منشورات المجلس الأعلى للتّعليم، عدد (اللّغات في المدرسة المغربية) العدد (3) ص 65.

13. محمد الشّيباني "الطّفل العربي بين اللّغة الأمّ والتّواصل مع العصر: أبعاد المسألة وإطارها المنهجي" مجلة اللّغة والتّواصل. الرباط: 2008، د ت ن، ص 117.

14. ينظر: مُؤسّسة الفكر العربي، لننهض بلغتنا مشروع **لاستشراف مُستقبل اللّغة العربية**. **بيروت**: **2012**.